

أهمية الصلاة

أخى :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ صدق الله العظيم . لقد عظمت بركة هذه الصلوات الخمس على المؤمنين . قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ ثم أعلمهم سبحانه قيمتها وأهميتها فقال بعد ذلك : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ثم افترضها على عباده وكتبها ، ووقت لها أوقاتها بعلمه وحكمته وتدبيره ، وجعلها فريضة مؤقته مكتوبة وذلك ليلة أسرى بالنبي ﷺ ، ففرضها عليه وعلى أمته وكتبها ثم قال : « خمس بخمسين ، لَا يُدْخِلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ » وسميت مكتوبة لأنها كتبت على العباد وكتبت لهم بخمسين ، ثم جعلها سبحانه عهدا للعباد عنده ، من أتى بها مستوفاة أدخله الجنة . وقد روى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : « قال ربكم من أتاني بهذه الصلوات الخمس كان له عندي عهدا أدخله الجنة » أو كما قال . فهذا العهد يخرج من الله تبارك وتعالى ، في وقت كل صلاة إلى العباد إذا صلّوها . وفي الحديث الشريف : « أن الله ملكاً يسمى سَمَحَائِيلَ وهو من الملائكة الحجاب يأخذ البراءات للمصلين عند كل صلاة من رب العالمين ، فإذا أصبح المؤمنون قاموا وتوضّئوا وصلّوا صلاة الفجر أخذ من الله عز وجل براءة لهم مكتوب فيها بخط الله الأول الباقي : عبيدى وإمائى : فى جِرْزى جعلتكم ، وفى ذمّتى وحفظى وتحت كنفى سيّرتكم ، فَوَعِزَّتِي لَا أَخْذَلْكُمْ ومغفور لكم ذنوبكم إلى الظهر » أو كما قال .. وهكذا فى جميع الأوقات ، فهذه البراءات هى العهود التى يلقون بها ربهم يوم القيامة . والله الموفق والمعين . ويؤكد هذا المعنى حديث : « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » أو كما قال . وللعلم أذكر لأخى أن صورة الصلاة من بين الأفعال وضعت إظهاراً للعبودية ، وسبباً لتطهير

الموحدين ، وسترًا لمساوىء أعمالهم ، فصوّرت أفعالها على أفعال العباد لتقابل تلك المساوىء فتسترها ليقدم غدا على ربه مستورا ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ فالعبد إنما خلق ليكون لله عبدا كما خلق فيثاب على كونه عبدا فيصير غدا حرا ، ويكون في جوار الله ملكا ، خلق ليترك مشتبهاته إثارا لمرضاة الله في أحواله ليسكنه غدا دارا له فيها ما اشتت نفسه ، فإذا لم يثبت العبد ، وافتتن فيما ركب فيه من الشهوات فتكبر ، وأطاع هواه ، ولها عن وعيد الله ووعيده ، وعرض نفسه للعقوبة ثم دعى إلى الصلاة التي افترضت عليه قيل له : قم بين يدي ربك ملقيا بيدك مسلما كالعبد الذي كان قد أبق من مولاه ثم جاءه فألقى بيده ثم عظم ربك بالتكبير فإنك كنت قد اجترأت حيث أعطاك الجوارح وأمرك بحفظها ورعايتها فضيبت الرعاية للأمانة فجئت الآن بها فجمعتها في هذا الموقف لربك لتكون هذه حسنة تستر بها سيئتك ، فهكذا لكل فعل من أفعال الصلاة هدف مقصود ومعنى مخصوص فينصرف بالسلام من صلاة إنما هي محاسن قد أذهبت مساوئه ، فإن الله تبارك وتعالى شرف هذا الآدمي وكرمه فتعبده بصلاة جعل له فيها حظا من عبادة أهل كل سماء . وقد روى في الخبر أن أهل سماء الدنيا في سجود منذ خلقوا ، وأهل السماء الثانية في ركوع منذ خلقوا ، وأهل الثالثة في قيام منذ خلقوا ، وفي باقى السموات مثل ذلك من أفعال الصلاة ، ومنهم صفوف كلها قيام للتسبيح والثناء والاستغفار للموحدين والبكاء عليهم رحمة لهم . ﴿ الَّذِينَ يَخْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ ... الآية .

فهكذا ترى أن الصلاة الواحدة للمؤمن فيها عبادة أهل كل سماء حتى توافي صلاته العرش فيصبح وقد أخذ بحظه من عبادة أهل السموات كلها وأهل عليين وحملة العرش فيصبح لصاحبها من الرحمة العظمى التي تنقسم على من تحت العرش إلى ما هو دون ذلك . وفي الحديث الشريف « ومن صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البحرين والبرين عبادة » وقال : « الصلوات الخمس من لقي الله بهن لم ينتقص منهن شيئا غفرت له ذنوبه وإن كانت ملء الأرض » أو كما

قال . وللعلم أذكر لأخي ما قاله بعض الصالحين من عباده في تفسير القبول :
« القبول هو أن يصلي العبد صلاة تليق بحق الله » فإذا كان العمل لائقا كان مقبولا ، والقبول على وجهين : وجه منهما أن العبد يصلي ويعمل سائر الطاعات وقلبه معلق بالله ذاكر له على الدوام : فأعمال هذا العبد تعرض على الله حتى تقف بين يديه سبحانه فينظر إليها ، فإذا نظر إليها قبلها وهذا عمل المقربين . والوجه الآخر أن العبد يعمل الأعمال على العادة والغفلة وينوى بها الطاعة ، وقلبه لاه عن ذكر ربه وكذلك حاله في الصلاة بهذه الصفة ، ومثل هذا العبد إذا رفعت صلاته لا تقف بين يدي الله ولا تقع نظرتة عز وجل عليها فحينئذ توضع في الخزائن لتعرض عليه يوم القيامة ، فهذا لم يتبين قبوله بعد ، فإن عرضت عليه ميم ما كان له منها وتفضل سبحانه بقبوله فهناك يتبين القبول يوم الدين ، وصدق الله حيث قال : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وأنت بهذا الأخ الكريم تدرك مدى الفرق الواضح بين عمل المقربين وبين غيرهم ، حيث عمل المقرب في وقت الفعل يُعرض فيقبل ، وهذا معنى قول الرسول ﷺ . أنه لا يقبل صلاة امرئ الآن في وقت الفعل لأنه لا يقبل يوم القيامة . والناس في الصلاة على أحوال كما قال بعض العارفين بالله : فمن الناس من يصلي فينقص من الوضوء والمواقيت والحدود والأركان ، ومنهم من يصلي محافظا على وضوئه ومواقيتها وحدودها بأركانها ، وقد ضيع تجاهدة نفسه في الوسوسة ، ومنهم من يصلي محافظا على وضوئه ومواقيتها وحدودها وأركانها مشغولا بقلبه مع الله بحفظ هذه الحدود ومناجاته ، ومنهم من يصلي محافظا على وضوئه ومواقيتها وأركانها وحدودها مشغولا بربه قرير العين محافظا على حدودها ، فهذه أصناف عدة ، الصنف الأول منها معاقب ، والصنف الثاني محاسب ، والثالث مثاب ، والرابع مقرب . وهذا مأخوذ مما روى عن سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال : « جعلت قرعة عيني في الصلاة » فمن قرت عينه في الصلاة فلقربه من ربه حيث ينال منه عز وجل برًا وعطفا وشفقة ، فمن قرت عينه بالصلاة فهو مثاب لأنه أحكمها وأدى فرضها فقرت بها اليوم عينه ، وغداً بثوابها يوم أن يلقي ربه ، فالمقبلون على ربهم بقلوبهم هم المقربون ، وهم أهل جذبته وخاصته . جعلني الله وإياكم من أهل خاصته فضلا

منه ونعمة . فالحمد لله والشكر له . وقد ورد في الأثر أن الصلاة ثلاثة أثلاث : ثلث وضوء ، وثلث ركوع وسجود ، وثلث قراءة . فمن أتى بهن تامات قبلن منه وما سواهن من العمل ، ومن نقص واحدة منهن طويت صلاته كالثوب الخلق ثم ضرب بها وجه صاحبها فلا ترفع إلى الله . فاعلم أخى وسيدى أن ثقل هذه الأعمال ليس باشتغال الجوارح بالأعمال ولكن باشتغال القلوب ، فالذين اشتغلت قلوبهم بربهم وخلصوا أعمالهم لوجهه هم سادة الخلق ، وهو قول الرسول ﷺ ما معناه : « جعلت قرعة عيني في الصلاة » فلم يقل ﷺ بالصلاة ، وإنما قال في الصلاة . فانظر أخى وتدبر . والله الموفق . فأعمال المرء توضع في الخزائن . أما المقاصد في الأعمال والنيات فهي التي تقع بين يدي الله ، وكل إنما يصل إلى قصده وإرادته إلى الله تعالى على حسب قوة قلبه : كالرماة ، إنما رمية الإنسان على قدر ساعده ، وصنعة قوسه ، وصلابة سهمه ، فكم من سهم يرميه صاحبه فيسقط في الطريق ، فإن وصل فبعد مدة ، وإن استقبله شيء ولم يجد منفذا تراه يُقهر متراجعا ، ورب سهم قد اشتد ساعد صاحبه وله صلابة خرج من قوس منيع فلا يأتي على شيء إلا نفذ فيه حجرا كان أم حديدا حتى ينتهي منتهاه ، ويصل إلى غايته ويحقق هدفه . فكذلك القلوب على قدر اليقين وقوة الإيمان الذي فيه بمقدار إرادته ونيته في الاتجاه إلى الله ، فإن هناك حجابا تحتاج إلى نور نافذ حتى يخرق تلك الحجب ، وبين الأنوار تفاوت ، فالاحتظى من أى نور احتظى فقربه على قدر ذلك ، فالصلاة نور وبرهان ، وحجة وإيمان ، كما أنها توبة واستغفار . قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ولأنها كذلك مثلها سيدنا رسول الله ﷺ بالنهر الجارى على الأبواب ووصفها بأنها عماد الدين ، شأنها بالنسبة لسائر الأعمال شأن الروح في الأبدان ، لذا لم تجد ذكر الله في موضع من التنزيل إلا مع ذكر إقامتها ، ولما بلغ ذكر المنافقين قال في شأنهم : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ولم يقل عز وجل في صلاتهم ، بل جاءت عن لتفيد المجاوزة والبعد عن الله بالرياء ، وسمى المؤمنين ووصفهم (المقيمين)

للصلاة ليعلمنا أن المصلين كثيرون ، والمقيمين قليلون ، كما قال سيدنا عمر
رضي الله عنه في شأن الحجيج : « الركب كثير ، والحاج قليل » . هداانا الله
وإياكم سواء السبيل ، وجعلنا من المؤمنين الموقنين الذين على ربهم يتوكلون .

* * * *